كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي
السنة الثانية ليسانس فروع الدراسات: الأدبية والنقدية واللغوية د. حسين مشارة

7: قصيدة التفعيلة في الجزائر

كان المشهد الغالب على طابع الشعر الحديث والمعاصر في الجزائر ملتزما بالإطار العام للقصيدة العمودية حتى بداية ظهور عوامل التجديد الشعري، ممثلة في نتائج الحرب العالمية الثانية ونكبة فلسطين واندلاع ثورة التحرير الكبرى، لكن المشهد الإبداعي الشعري حينئذ لم يخلُ من بعض المحاولات التجديدية المحدودة، كالتي رأيناها عند الشاعر **رمضان حمّود** التي انتهت بوفاته المبكرة فلم يكن لها أي أثر إبداعي على الرغم من أهميتها النقدية الواعية بضرورة تجديد الشعر العربي المعاصر نحو المفاهيم الفنية المستحدثة المتأثرة بآراء كبار نقاد الفن الشعري في البلاد الغربية.

وكان توجه الشعراء الجزائريين نحو التجديد الشعري متأثرا بحركة التجديد الشعري في المشرق، وقد ظهر هذا التأثر أولا في طابع التجسيد كما يرى الأستاذ محمد ناصر، حينما أخذ شباب الشعراء في الجزائر السير على منوال الشعراء المجددين الأوائل في المشرق من أمثال نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور، وعلى الرغم من أهمية التصنيف الفني للشعر على أساس التفعيلة فإنه يمكن تقسيم فترات تطورها كما يلي:

المرحلة الأولى: جيل الخمسينيات: والغالب على شعراء هذه الفترة تمسكهم بالوزن القائم على التفعيلة كما رأينا في قصيدة (طريقي) لدى الشاعر **أبي القاسم سعد الله**، وقصيدة (منطق الرشاش) لدى الشاعر أبي القاسم خمار التي يقول فيها:

لا تفكر... لا تفكر...
يا لهيب الحرب زمجِرْ... ثم دمِّرْ...

في الذرى السمراء من أرض الجزائر... لا تفكر...
مزق الأحياء... أشلاء... وبعثر...
حَطِّمِ الطغيانَ... كَسِّرْ...
وانشرِ الإرهابَ... والنيرانَ... أكثَرْ
ثم أكثر...
وإذا ناداك غِرٌّ... فتحجر...
وتمردْ... وتكبر... لا تفكرْ...
سوف تظفرْ...[1]

ويلاحظ في هذا الأنموذج أنه يتأسس على وزن تفعيلة بحر الرمل (فاعلاتن)، كما يلتزم بالقافية المقيدة ذات الروي الثابت في القصيدة كلها من خلال هذا المقطع وهو حرف (الراء)، أما من ناحية الرؤيا الفكرية فقد كانت الثورة التحريرية هي العنصر الأساس الملهم لشعراء هذه المرحلة على العموم، ويظهر ذلك جليا في الأنموذج السابق من خلال المعجم الثوري الطافح بمعاني الرفض مثل: لا تفكر، دمر، زمجر، مزّق...، وهي أفعال توحي بروح الإنجاز النضالي، والتحدي للمستعمر.

المرحلة الثانية: جيل السبعينيات: ظهر في هذه الفترة جيل جديد من الشعراء أخذ على عاتقه مهمة النهوض بالشعر من فترة الركود التي عاشها في العشرية السابقة، رافضا أية وصاية إبداعية أو فكرية أو نقدية من جيل الشعراء السابقين، محاولا توجيه مضامين القصيدة نحو التحولات الاجتماعية والسياسية التي عاشتها الجزائر في ظل النظام الاشتراكي الذي اجتهد في توسيع مفهوم الثورة ويسقطه على حركية المجتمع و الاقتصاد، وقد انعكس ذلك على التحول الفني من الرؤية الرومنسية إلى الممارسة الواقعية بكل ما تحمله من زخم إيديولوجي اشتراكي، ومن أشهر شعراء هذه المرحلة: أحمد حمدي، حمري بحري، زينب الأعوج، عبد

[1] محمد أبو القاسم خمار: ديوان (ظلال وأصداء) الشكرة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1970، ص:63.

العالي رزاقي، مصطفى الغماري، أحلام مستغانمي، ربيعة جلطي، وعمر أزراج الذي يقول في قصيدة (على باب قصر الحكومة):

وأقرأ من دفتر الاغتراب
حكايا فؤادي البعيد
لساعي البريد
ليرجعني خلسة للمدينة
فأسكن في سلة المهملات
على باب قصر الحكومة
وأقرأ عنك بقايا جريدة
ويطرق (وادي الشريعة)[2]

ويتضح في هذا الأنموذج قيامُهُ على تفعيلة (فعولن)، كما انه لا يلتزم بالقافية.

المرحلة الثالثة: جيل الثمانينيات: وأهم ما يميز الإنتاج الشعري لهذه المرحلة تخليه عن الطرح الإيديولوجي، حينما اتجه الشعراء إلى تخليص الشعر من كل الأفكار المرتبطة بالسياسة أو المجتمع أو الاقتصاد، وتخصيصه ضمن الرؤية الحداثية الخالصة، ومن أشهر شعراء هذه المرحلة: عبد الله العشي، لخضر فلوس، علي ملاحي.

المرحلة الرابعة: جيل التسعينيات: تبعا لما حدث في هذه العشرية من أزمات سياسية وأمنية واجتماعية...، فقد عُرف شعراء هذه الفترة بـشعراء الأزمة أو شعراء المحنة، نظرا للظروف المأسوية التي أثرت في كل طبقات المجتمع، بما تركته من أحاسيس الخوف والتوتر والإحباط التي طبعت الأنفس، مما انعكس على الجانب الفني في إبداع كثير من الرؤى الفنية الموغلة في التشاؤم والغموض، ومن شعرائها: يوسف وغليسي، عبد الحميد شكيل، حبيبة محمدي،

[2] حسن فتح الباب: شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، 1987، ص: 120.

بوزيد حرز الله ، وعز الدين ميهوبي الذي كتب كثيرا من القصائد في وصف الأحزاب السياسية مثل قوله:

في بلادي

كل حزب يدّعي ما ليس يُبدي

فهو لا يملك حلاًّ

إنما الأفكارَ يُبْدي

وهو يدعو: حَلُّكُمْ يا ناسُ عندي

وكلامٌ حزبويٌّ ليس يُجدي

ولسان الحال دومًا: أحكُمُ الكرسيَّ وحدي

ودَعُوا الطوفان بعدي !

[3]

[3] عز الدين ميهوبي: ديوان: ملصقات، مؤسسة أصالة للإنتاج الإعلامي والفني، الجزائر، ط1، 1997، ص: 101.